٧- غزوة بدر الكبرى «يوم الفرقان يوم التقى الجمعان»

غزوة بدر الكبرى

١-أحداث الغزوة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فلما كان في رمضان من هذه السنة «أي الثانية من الهجرة» بلغ رسول الله ﷺ خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبي سفيان، وهي العير التي خرجوا في طلبها لما خرجت من مكة، وكانوا نحو أربعين رجلًا، وفيها أموال عظيمة لقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها. وأمر من كان ظهره حاضرًا بالنهوض ولم يحتفل لها احتفالًا بليغًا، لأنه خرج مسرعًا في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان، فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقدام بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيرًا يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، فكان رسول الله ﷺ وعلي ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيرًا[(١)].

عن أنس أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه فيقول ما لي علم

---

(١) هذا قول ابن إسحاق في «السيرة» (١/ ٦٣/ ١/ ٤١١).

وفي «مسند أحمد» (٣٩٠١، ٣٩٦٥) من حديث ابن مسعود كنا يوم بدر، كل ثلاثة على بعير، أي يعتقبون، و كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ قال: وكانت عقبة رسول الله ﷺ قال: فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: «**ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**» وصححه الحاكم (٣/ ٢٠) ووافقه الذهبي وحسنه في «تحقيق الزاد».

بأبي سفيان ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه، فقال: نعم أنا أخبركم هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في الناس فإذا قال هذا أيضًا ضربوه ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف، قال: والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم وتتركوه إذا كذبكم. قال: فقال رسول الله ﷺ هذا مصرع فلان قال ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ (١).

قال ابن القيم: وأما أبو سفيان فإنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وقصده إياه فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخًا لقريش بالنفير إلى عيرهم ليمنعوه من محمد ﷺ وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج فلم يتخلف من أشرافهم سوى أبي لهب فإنه عوض عنه رجلًا كان له عليه دين، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرج معهم منهم أحد وخرجوا من ديارهم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:٤٧]. وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ «**بحدهم وحديدهم تحاده وتحاد رسوله**» وجاءوا على حرد قادرين، وعلى حمية وغضب، وحنق على رسول الله ﷺ وأصحابه لما يريدون من أخذ عيرهم، وقتل من فيها، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي والعير التي كانت معه فجمعهم الله على خير ميعاد كما قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:٤٢]، فسار رسول الله ﷺ إلى بدر وخفض أبو سفيان فلحق بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا فأتاهم الخبر وهم بالجحفة فهموا بالرجوع فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا فنقيم بها ونطعم من حضرنا

(١) رواه مسلم (١٢/ ١٢٥، ١٢٦) «الجهاد والسير».

من العرب، وتخافنا العرب بعد ذلك، فأشار الأخنس بن شريق عليهم بالرجوع فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة، فلم يشهد بدرًا زهري، فاغتبطت بنو زهرة بعد برأى الأخنس فلم يزل فيهم مطاعًا معظمًا [١].

قال الدكتور أكرم العمري: وقد وصف علي رضي الله عنه في رواية صحيحة كيف بات المسلمون ليلة السابع عشر من رمضان ببدر وأمامهم معسكر المشركين، قال: «لقد رأيتنا يوم بدر، وما منا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح... ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «**اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبد**» فلما طلع الفجر نادى «الصلاة عباد الله» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ وحرض على القتال» [٢].

وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر: «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد**» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك. فخرج وهو يقول: «**سيهزم الجمع ويولون الدبر**»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: فأنزل الله في تلك الليلة مطرًا واحدًا، فكان على المشركين وبالًا شديدًا منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلًا طهرهم به وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض وصلب به الرمل، وثبت به الأقدام، ومهد به المنزل، وربط به على قلوبهم، فسبق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الماء فنزلوا عليه شطر الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوروا ما عداها من المياه، ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على الحياض، وبنى لرسول الله ﷺ عريش يكون فيها على تل يشرف على

(١) باختصار من «زاد المعاد» (٣/ ١٧٤).

(٢) «المجتمع المدني في عهد النبوة الجهاد ضد المشركين» [٤٦].
والحديث رواه أحمد في المسند (الفتح الرباني ٢١/ ٣٠، ٣٦).

(٣) رواه البخاري(٧/ ٣٣٥) المغازي.

المعركة في موضع المعركة، وجعل يشير بيده: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان - إن شاء الله -، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته(١).

واستنصر المسلمون الله واستغاثوه، وأخلصوا له وتضرعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]، وأوحى الله إلى رسوله: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]؛ قرئ بكسر الدال وفتحها، فقيل المعنى: أنهم ردف لكم، وقيل: يردف بعضهم بعضًا أرسالًا لم يأتوا دفعة واحدة.

قال الدكتور أكرم العمري: وكان رسول الله ﷺ يباشر القتال بنفسه، قال علي رضي الله عنه: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس بأسًا» (٢).

وقد بدأ القتال بمبارزات فردية حيث تقدم عتبة بن ربيعة وتبعه ابنه الوليد وأخوه شيبة طالبين المبارزة، فانتدب لهم شباب من الأنصار فرفضوا مبارزتهم طالبين مبارزة بني قومهم، فأمر الرسول ﷺ حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بمبارزتهم، وقد تمكن حمزة من قتل عتبة، ثم قتل عليٌ شيبة، وأما عبيدة فقد تصدى للوليد وجرح كل منهما صاحبه، فعاونه علي وحمزة فقتلوا الوليد، واحتملا عبيدة إلى معسكر المسلمين(٣).

وقد أثرت نتيجة المبارزة في معسكر قريش وبدأوا الهجوم، فأمر النبي ﷺ أصحابه بنضح المشركين بالنبل إذا اقتربوا منهم، حرصًا على الإفادة من النبال بأقصى ما يستطاع فقال: «**إذا أكبثوكم فارموهم واستبقوا نبلكم**» (٤).

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٧٥، ١٧٦) وقد أشار إلى هذا المعنى حديث علي عند أحمد (١/ ١١٧) وما رواه مسلم عن أنس وقد تقدم.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٨) وقال أحمد شاكر: صحيح.

(٣) رواه أبو داود [٢٦٤٨] الجهاد، وصححه ابن حجر وسكت عنه المنذري، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» رقم [٢٣٢١].

(٤) رواه البخاري (٧/ ٣٥٦) «المغازي»، وأبو داود [٢٦٤٦] «الجهاد».

ويذكر عروة وقتادة أن رسول الله ﷺ رمى الحصا في وجوه المشركين[١]، وتدل على صحة ذلك الآية الكريمة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧][٢].

قال ابن القيم رحمه الله: ثم حمي الوطيس واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهال ومناشدة ربه عَزَّ وَجَلَّ حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق وقال: بعض مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك[٣].

وجاء النصر وأنزل جنده وأيد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسرًا وقتلًا فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين[٤].

(١) عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفًا من الحصى فاستقبلنا به فرمى بها قال: «**شاهت الوجوه**» فانهزمنا فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] =قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن، وله شاهد عن ابن عباس رواه الطبراني أيضًا، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم (١٢/ ٨٤) «الجهاد والسير» وسيأتي الحديث بطوله -إن شاء الله -.

(٣) باختصار من «زاد المعاد» (٣/ ١٨٠، ١٨١).

(٤) رواه البخاري (٧/ ٣٥٨) المغازي.

هلاك أئمة الكفر أبو جهل بن هشام وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط

هلاك أبي جهل:

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرًا من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل؟! فقلت: يا ابن أخي وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله او أموت دونه. فقال لي الآخر سرًا من صاحبه مثله، قال: فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابن عفراء.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من ينظر لنا ما صنع أبو جهل**» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل. فقال: وهل فوق رجل قتلتموه أو قال: قتله قومه. قال أبو مجلز قال أبو جهل: فلو غير أكار قتلني[1].

هلاك أمية بن خلف:

عن عبد الرحمن بن عوف قال: كاتبت أمية بن خلف كتابًا بأن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن قال: لا أعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو، فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال: أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية. فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا. فلما

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٤٢) المغازي، رواه مسلم (١٢/ ١٦٠) «الجهاد والسير».

وقال النووي: قوله: «**لو غير أكار قتلني**» الأكار الزراع والفلاح، وهو عند العرب ناقص، وأشار أبو جهل إلى ابني عفراء اللذين قتلاه وهما من الأنصار، وهما أصحاب زرع ونخيل، ومعناه: لو كان الذي قتلني غير أكار لكان أحب إليَّ وأعظم لشأني، ولم يكن على نقص في ذلك، «شرح النووي على صحيح مسلم هامش» (١٢/ ١٠٠).

خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلًا ثقيلًا، فلما أدركونا قلت له: ابرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه فتجللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه(١).

هلاك عقبة بن أبي معيط أشقى القوم:

أما عقبة بن أبي معيط فقد أمر النبي ﷺ بضرب عنقه وكان في الأسرى لما نزل بعرق الظبية(٢) وفيه جواز قتل الأسير الكافر لأنه كان من أشقى القوم وممن يطلق عليهم بمصطلح العصر مجرم حرب، وسيق هؤلاء الأشقياء الثلاثة إلى النار وبئس القرار، وكم لاقى المسلمون بمكة من إيذائهم واستهزائهم، وليبشر أئمة الكفر في كل زمان بهذه النهاية المشؤومة، إن لم يتوبوا إلى ربهم، ويثوبوا إلى رشدهم، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يمهل ولا يهمل: «**إِنَّ اللهَ لَيُملِي لِلظالِمِ حَتى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْه**»(٣).

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

---

(١) رواه البخاري (٤/ ٥٦٠) الوكالة. وترجم له البخاري باب إذا وكل المسلم حربيًا في دار الحرب أو في دار الإسلام جار.

وابنه هو علي بن أمية. وقوله: «بأن يحفظني في صاغيتي» الصاغية خاصة الرجل. قال الأصمعي: صاغية الرجل كل من يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال.

(٢) رواه أبو داود [٢٦٦٩] الجهاد بمعناه وسكت عنه المنذري.ذكر الهيثمي في المجمع عن ابن عباس قال: فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف، وقتل عقبة بن أبي معيط قبل الفداء، قام إليه علي بن أبي طالب فقتله صبرًا قال: من للصبية يا رسول الله؟ قال: «**النار**».

وقال: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجاله رجال الصحيح «مجمع الزوائد» (٦/ ٨٩).

(٣) رواه البخاري (٧/ ٣٥٠، ٣٥١) المغازي.

مخاطبة النبي ﷺ أئمة الكفر والضلال وقد وصلوا إلى حفرة من النار وبئس القرار

عن قتادة قال: ذكرنا لنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركى، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «**يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا**»، قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟، فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنتم بِأَسمع لِمَا أَقُولُ مِنْهُم**». قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا[(١)].

قال الحافظ: وسيأتي من حديث البراء أن قتلى بدر من الكفار كانوا سبعين، وكان الذين طرحوا في القليب كانوا الرؤساء منهم، ثم من قريش، وخصوا بالمخاطبة المذكورة لما تقدم منهم من المعاندة وطرح باقي القتلى في أمكنة أخرى[(٢)].

وقال: وقد اختلف أهل التأويل في المراد بالموتى في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] وكذلك المراد بمن في القبور فحملته عائشة على الحقيقة وجعلته أصلًا احتاجت معه إلى تأويل قوله «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» وهذا هو قول الأكثر[(٣)].

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٥٢).

(٢) «فتح الباري» (٧/ ٣٥٤).

(٣) وظاهر القرآن والسنة يجب المصير إليه الجمع كما ذكر العلماء أن قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] على ظاهره وهو عام، أما قوله: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**» خاص ولا يتعارض خاص وعام، فالأصل أن الموتى لا يسمعون كما دلت عليه الآية الأخرى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، ولكن الله عَزَّ وَجَلّ أسمع هؤلاء معجزة لنبيه ﷺ ولتوبيخهم وزيادة في ذلهم وعذابهم.

فصل في نزول الملائكة يوم بدر

دلت أدلة الكتاب والسنة على نزول الملائكة يوم بدر وقتالهم مع المسلمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٩، ١٠].

عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال:لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ على المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «**اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»، فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] فأمده الله بالملائكة، قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذا سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيًا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «**صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة**» فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين[1].

---

(١) رواه مسلم (١٢/ ٨٥/ ٨٦) «الجهاد والسير».

وقال النووي: هذه المناشدة إنما فعلها النبي ﷺ ليراه أصحابه بتلك الحال فتقوي قلوبهم بدعائه وتضرعه، مع أن الدعاء عبادة، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين، إما العير وإما الجيش، وكانت العير قد ذهبت وفاتت على ثقة من حصول الأخرى، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق المسلمين.

وقد أسر رجل من الأنصار العباس بن عبد المطلب فقال العباس:«يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهًا على فرس أبلق، ما رواه في القوم» فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال: «**اسكتْ فَقَدْ أَيدكَ اللهُ تعالى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ**»(١).

وفي «صحيح البخاري»: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: **أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها**، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة»(٢).

فإن قيل: ما الحكمة في نزول الملائكة مع أن جبريل وحده قادر على إهلاكهم بأمر الله.

أجاب السبكي بقوله: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده. والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم (٣).

فصل في الأسارى وإباحة الغنائم:

عن ابن عباس قال: لما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر «**ما ترون في هؤلاء الأسارى**». فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ : «**ما ترى يا ابن الخطاب**» قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًا من عقيل وتمكنى من فلان نسيبًا لعمر فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر

(١)رواه أحمد (١/ ١١٧) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة (مجمع الزوائد ٦/ ٧٥، ٧٦).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٣٦٢، ٣٦٣) المغازي.

(٣) «فتح الباري» (٧/ ٣٦٤).

قاعدين يبكيان، قلت:يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ :«**أبكى للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة** – شجرة قريبة من نبي الله ﷺ ، وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ:﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الأنفال:٦٧] إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال:٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم»[(١)].

قال القاسمي في تفسير الآية ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ ﴾: ما صح له وما استقام وقرئ «للنبي» على العهد، والمراد على كل نبينا ﷺ وإنما نكر تلطفًا به حتى لا يواجه العتاب وقرئ أسارى.

ومعنى: ﴿يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال:٦٧] يكثر القتل ويبالغ فيه، حتى يذل الكفر، ويقل حزبه ويعز الإسلام، ويستولى أهله. يقال: أثخن في العدو، بالغ في قتلهم كما في «الأساس» وأثخن في الأرض قتلًا إذا بلغ، وقال ابن الأعرابي: أثخن إذا غلب وقهر، قال الرازي: وإنما حمله الأكثرون على القتل لأن الدولة إنما تقوى به.

قال المتنبي:

لاَ يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى ... حَتى يُرَاقَ عَلى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

ولأنه يوجب قوة الرعب وشدة المهابة فلذلك أمر الله تعالى به[(٢)].

من روائع الإيمان يوم الفرقان يوم التقى الجمعان:

قال صفي الرحمن المباركفوري: وقد تجلت في هذه المعركة مناظر رائعة تبرز فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ، ففي هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء، والإخوة بالإخوة، خالفت

(١) رواه مسلم (١٢/ ٨٦، ٨٧) «الجهاد والسير».
(٢) «محاسن التأويل» (٨/ ٩٧، ٩٨).

بينهما المبادئ، ففصلت بينهما السيوف، والتقى المقهور بقاهره فشقى منه غيظه[١]، فمن ذلك:

۞ أن النبي ﷺ أخبر أصحابه أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله، فقام عمير بن الحمام فقال: «يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «**نعم**» قال: بخ بخ يا رسول الله، قال: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «**فإنك من أهلها**» قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل»[٢].

۞ وقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومئذ خاله العاص بن هشام بن المغيرة.

۞ وبعد انتهاء المعركة مر مصعب بن عمير العبدري بأخيه أبي عزيز بن عمير الذي خاض المعركة ضد المسلمين، مر به وأحد الأنصار يشد يده، فقال مصعب للأنصار: شد يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصاتك بي؟ فقال مصعب: إنه - أي الأنصار-، أخي دونك.

۞ قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء، قال: يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «**غمسه يده في العدو حاسرًا، فترك درعًا كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل**»[٣].

---

(١) «الرحيق المختوم» [٢٦٠] ط. مكتبة الصحابة.

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٣٦، ١٣٧)، ومسلم (١٣/ ٤٥) الإمارة، والحاكم (٣/ ٤٢٦) وقوله: «**بخ بخ**» اسم فعل بمعنى أستحسن، تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

(٣) «سيرة ابن هشام» مع «الروض الأنف» (٣/ ٣٩) ط. الكليات الأزهرية.

الفوائد والآثار الإيمانية:

١- ***استجاب الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الغزوة المباركة:*** دعوة النبي ﷺ على مشركي قريش، كما في حديث ابن مسعود في إلقاء المشركين سلى الجزور على ظهر النبي ﷺ وهو يصلي عند البيت، فقال ﷺ : «**اللهم عليك بقريش**» **ثلاث مرات، ثم سمى: «اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط»**[(١)].

فقتل هؤلاء الستة يوم بدر وأقر الله عَزَّ وَجَلَّ عين نبيه بهلاكهم وتحقق قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

أما أبو لهب فقد كان بمكة ولم يخرج إلى بدر، وفجع بهلاك رؤوس الكفر ثم أهلكه الله عَزَّ وَجَلَّ بعد ذلك بقليل وجعله عبرة للمعتبرين.

عن أبي رافع مولي رسول الله ﷺ قال: كنت غُلامًا للعباس، وكان يكتم إسلامه مخافة قومه، وكان ابو لهب تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام، وكان له عليه دين فقال له: اكفني من هذا الغزو وأترك لك ما عليك، ففعل، فلما جاء الخبر وكبت الله أبا لهب، وكنت رجلًا ضعيفًا أنحت أقداحي في الحجرة وعندي أم الفضل، إذا الفاسق أبو لهب يجر رجليه أراه، قال: حتى جلس عند طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري فقال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث، فقال أبو سفيان: هلم يا ابن أخي كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء، والله ما هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله ما لمت الناس قال: ولم؟ قال: رأيت رجالًا بيضًا على خيل بلق، لا والله لا يليق شيئًا ولا يقوم لها شيء، قال: فرفعت طنب الحجرة فقلت: تلك والله الملائكة، فرفع أبو لهب يده فلطم وجهي وثاورته فاحتملني فضرب بي الأرض حتى نزل عليّ، وقامت أم الفضل فاحتجرت وأخذت عمودًا من عمد الحجرة فضربته به

(١) تقدم تخريجه.

فقلقت في رأسه شجة منكرة، وقالت: أي عدو الله استضعفته أن رأيت سيده غائبًا عنه، فقام ذليلًا فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى ضربه الله بالعدسة فقتله، فتركه ابناه يومان أو ثلاثة ما يدفناه حتى أنتن. فقال رجل من قريش لابنيه: ألا تستحيان، أن أباكما قد أنتن في بيته. فقالا: إنا نخشى هذه القرحة، وكانت قريش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون، فقال رجل: انطلقا فأنا معكما. قال: فوالله ما غسلاه إلا قذفًا بالماء من بعيد، ثم احتملوه فقذفوه في أعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة[١].

٢- **قال السهيلي في «الروض»**: كيف جعل أبو بكر يأمر رسول الله ﷺ بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ويقوي رجاءه ويثبته، ومقام رسول الله ﷺ هو المقام الأحمد ويقينه فوق يقين كل أحد، فسمعت شيخنا الحافظ : يقول في هذا: كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف وكان صاحبه في مقام الرجاء، وكلا المقامين سواء في الفضل، لا يريد أن النبي ﷺ والصديق سواء، ولكن الرجاء والخوف مقامان لابد للإيمان منهما، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرجاء لله والنبي عليه الصلاة والسلام كان في مقام الخوف من الله، لأن لله أن يفعل ما شاء، فخاف ألا يعبد الله في الأرض بعدها وخوفه ذلك عبادة، وأما قاسم بن ثابت فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا، وقال: إنما قال ذلك الصديق مأوية للنبي ﷺ ورقة عليه، لما رأى من نصبه في الدعاء قال ذلك في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال له: بعض هذا يا رسول الله، أي: لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر، وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبي ﷺ [٢].

٣- **قال الأستاذ سيد قطب** رحمه الله في التقديم لسورة الأنفال ما ملخصه: في هذه الغزوة التي أجملنا عرضها بقدر المستطاع نزلت سورة الأنفال، نزلت تعرض وقائع

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار وفي إسناده حسين بن عبد الله بن عبيد الله وثقه أبو حاتم وغيره وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات. «مجمع الزوائد» (٦/ ٨٩).

(٢) «الروض الأنف» هامش (٣/ ٤٧) مع سيرة ابن هشام.

الغزوة الظاهرة، وتعرض وراءها فعل القدرة المدبرة، وتكشف عن قدرة الله وتدبيره في وقائع الغزوة، وفيما وراءها من خط سير التاريخ البشرى كله، وتحدث عن هذا كله بلغه القرآن الفريدة وبأسلوب القرآن المعجز. لقد بدأت السورة بتسجيل سؤالهم عن الأنفال، وبيان حكم الله فيها، وردها إلى الله والرسول، ودعوتهم إلى تقوى الله وإصلاح ذات بينهم. ثم جعل يذكرهم بأمرهم وتدبيرهم لأنفسهم، وتدبير الله لهم، ومدى ما يرونه من واقع الأرض، ومدى قدرة الله من ورائه ومن ورائهم: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٥-٨].

ثم ذكرهم بما أمدهم به من العون، وما يسره لهم من النصر، وما قدره لهم بفضله من الأجر: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وهكذا يمضي سياق في هذا المجال يسجل أن المعركة بجملتها من صنع الله وتدبيره وبقيادته وتوجيهه، بعونه ومدده بفعله وقدره له وفي سبيله... ومن ثم تجريد للمقاتلين ابتداءً من الأنفال وتقرير أنها لله وللرسول، حتى إذا ردها الله عليهم كان ذلك منًّا منه وفضلًا، وكذلك يجردهم من كل مطمع فيها ومن كل مغنم ليكون جهادهم في سبيله خالصًا له وحده فترد أمثال هذه النصوص: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦][1].

---

(١) باختصار من «في ظلال القرآن» (٣/ ١٤٦٣، ١٤٦٤).

روى مسلم في سبب نزول: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾ عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: نزلت في أربع آيات، أصبت سيفًا فأتى به النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! نفلنيه فقال: «ضعه» ثم قام فقال له

٤- قال الأستاذ محمود شيت خطاب، تحت عنوان: «دروس من بدر» ما ملخصه: استفاد الطرفان من دوريات الاستطلاع في الحصول على المعلومات ليحولوا دون مباغتتهم، وكان حصول الطرفين على المعلومات عن القوات ومواقفها على الأرض جيدًا مفيدًا.

وقد ظهرت لنا نافذة استنطاق الأسرى الذي أجراه الرسول ﷺ مع غلامي قريش قبل المعركة في معرفة عدد قوات قريش، كما كان استنتاج أبي سفيان بن حرب من فحصه روث ركائب المسلمين اللذين استطلعا موقع «بدر» ومعرفة هويتهما رائعًا حقًا.

القيادة: برزت مزايا الرسول ﷺ في القيادة بمعركة بدر بالشجاعة وضبط الأعصاب، وعقد المؤتمرات الحربية قبل وأثناء وبعد المعركة ومساواة أصحابه مع نفسه، بكل شيء كما طبق الرسول القائد - عليه أفضل الصلاة والسلام - لأول مرة شروط انتخاب المقر الملائم للمعركة وأمن حراسته.

الضبط والمعنويات والعقيدة:

ظهر بوضوح أثر الضبط المتين، والمعنويات العالية، والعقيدة الراسخة في انتصار المسلمين على قريش وستبقى هذه المزايا حيوية لكل انتصار في كل حرب(١).

٥- لا شك أن غزوة بدر الكبرى كانت قبل ظهور النفاق بالمدينة المنورة فقد دخل المنافقون الإسلام بعد هذه الغزوة المباركة التي ظهرت فيها قوة المسلمين، وارتفع شأنهم، وذاع صيتهم، وأصيب أعداؤهم بالهيبة منهم فقد نصرهم الله عَزَّ وَجَلَّ مع قلة عَددهم وعددهم، وتمنن عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

=النبي ﷺ: «**ضعه من حيث أخذته**» ثم قام فقال: نفلنيه يا رسول الله فقال: «**ضعه**» فقام فقال: يا رسول الله! نفلنيه أأجعل كمن لا غناء له؟ فقال له النبي ﷺ: «**ضعه من حيث أخذته**»، قال: فنزلت هذه الآية ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] (١٢/ ٥٤) صحيح مسلم.

(١) «الرسول القائد» (١٢١، ١٢٢) «دار الفكر».

وكان هؤلاء الثلة المباركة هم أعمدة الدين وأفضل المسلمين بعد الأنبياء والمرسلين وورد في فضلهم الآثار. عن علي رضي الله عنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة وقال قيس بن عباد، وفيهم أنزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩] قال: «هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة وعلي وعبيدة أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: « **ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(٢).

وقال غلام لحاطب للنبي صلى الله عليه وسلم: ليدخلن حاطب النار. قال: «**كذبت إنه قد شهد بدرًا والحديبية**»(٣).

(١) رواه البخاري (٨/ ٢٩٧، ٢٩٨) التفسير.

(٢) سيأتي تخريجه -إن شاء الله - في فتح مكة.

(٣) رواه مسلم (١٦/ ٥٧) فضائل الصحابة، والترمذي (١٣/ ٢٤٥) «المناقب».